على طريق الأصالة

(٤٧)

الكتب المرفوضة من مفكري الاسلام

د/أنور الجندي

الـكتب المرفوضة من مفكرى الإسلام

تحرير المرأة - لقاسم أمين .

فى الشعر الجاهلى ، فى الأدب الجاهلى — لطه حسين .

الإسلام وأصول الحكم — على عبد الرازق .

حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية — منصور فهمى (لم يترجم)

مقدمة فى فقه اللغة العربية — لويس عوض .

مستقبل الثقافة — طه حسين .

(قدمت منار الإسلام دراسات مستفيضة لأغلب هذه الـكتب) .

(١)

كم أعطى الاستشراق للفكر الإسلامى والأدب العربى) هذه مقولة شائعة وجهها دعاة التغريب ليخففوا الحملة على مقاصد الاستشراق فما أن نلتقى مع أحدهم حتى نقول له : أنهم قدموا بعض كتب التراث وعملوا الفهارس المضبوطة ، نعم ، لقد عملوا ذلك من أجل فائدتهم الشخصية للبحث السريع عن المادة التى يريدونها ولـكن هذه وسيلة ، أما الغاية والهدف الحقيقى فهو التعرف على منطلقات

النهضة الإسلامية وتعقب الخيوط التي بدأت تتحرر من التبعية لمواجهتها وضربها والقضاء عليها وإعادتها إلى دائرة النفوذ الأجنبي .

وقد أعطى الاستشراق أتباعه من مثقفينا الذين اتصلوا به وارتضوا خطته الوسائل والأساليب والأدوات التي يراوغون بها في وجه حقائق الإسلام المشرقة ، والتي تتمثل في كلمات براقة (المنهجية ، العقلانية ، التحفيل ، البناء القوى ، الجدليه) وهي كلها في الحقيقة كلمات خادعة تريد إبراز طابع الاستعلاء وتخفي وراءها أهواء أصحابها وغاياتهم الحاقدة على الإسلام ولغته وتاريخه وفكره .

ولقد قدم الاستشراق لأتباعه من التغريبيين والعلمانيين والماركسيين عدداً من الهدايا تتمثل في مباحث معينه يريد فرضها على الفكر الإسلامي تتمثل في إعلاء الاقليميات والقوميات والطائفية وإحياء الفرق الهدامه والدعوات المسمومة وتجديد الشعوبيه والباطنيه والتصوف الفلسفي تحت أسماء جديدة .

كما يقدمون منهج البحث الذي يتمثل في عناصر مختلفه :

(أولا) الرأى المسبق في الهجوم على الإسلام ثم البحث في الكتب والمراجع عن النصوص التي تخدم هذا الهدف ، ثم تحريف النصوص بقبول ما يتفق مع الوجهة وتجاهل الأجزاء الأخرى ،

ولا بأس من اختصار النصوص أو تجاوز فقرات منها .

(ثانياً) تقديم وجهات نظر مكتوبة تهدى للمغرب الجديد الذى ذهب إلى دوائر المستشرقين (فى مختلف جامعات الغرب) ليدرس على أيديهم ، مع التوصية بأن يضيف الباحث إليها بعض التوابل من الأدب الغربى .

وقد حدث ذلك فى أعمال كثيرة كشف النقاب عنها فى السنوات الأخيرة فى مقدمتها (الإسلام وأصول الحكم) لعلى عبدالرازق وفى الأدب الجاهلى لطه حسين .

(ثالثاً) : وهناك كتابات معدة تخدم هدفاً واضحاً مثل الادعاء بأن علماء المسلمين أشبه بالاكايروس والكهانة ، أعطيت لبعض الكتاب ليضعوها مؤلفاتهم التى ادعت بأن الإسلام ليس نظاماً اجتماعياً ودين حكم ، وقدمت نصوص أخرى لكتاب يجمعون فى كتاباتهم بين محمد وسقراط وطاغور ونيتشه ، ويرون أن هذا الخليط بمثابة إحياء للفكرة العالمية أو دين الإنسانية الذى صنعه الماسون ، وفيها خليط من الفكر الوثنى والباطنى الذى كان معروفاً فى كتابات رسائل إخوان الصفا وغيرهم ممن قالوا أن الشريعة قد دنست بالجهالات ولذلك فهى تحتاج إلى تجديدها بزجها بالفلسفات .

وحين نقرأ كتاب مثل (مقدمة فى فقه اللغة العربية) للدكتور لويس عوض تدهش لكثرة النصوص والاستشهادات والمصطلحات مما يوحى بأن صاحبها قد أمضى حياته كلها فى مطالعة هذه المراجع ، ولكنك حين تذكر أن هذه النصوص جاهزة فى خزائن الاستشراق وأنها ميسرة لمن يطلبها يزول عجبك وهم يقدمونها لكل من يتصدى للهجوم على اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم .

أولا : على عبد الرازق : الإسلام وأصول الحكم

وكان على عبد الرازق قد سافر فى بعثة إلى بريطانيا للحصول على شهادة تمكنه من أن يطلق عليه (الأستاذ المحقق) بدلا من الشيخ القاضى الشرعى فأهداه المستشرق اليهودى مرجليوث هذه الرسالة التى صدرت من بعد وأحدثت دوياً هائلا فقد حققت كل آمال التغريب والاستشراق فى أن عالماً أزهرياً وقاضياً شرعياً قد خرق فى الإسلام لأول مرة فى تاريخه كله خرقا فقال إن الإسلام دين روحى وليس له صلة بالحكم أو السلطان وأن الرسول ﷺ لم يكن فى يوم من الأيام حاكما أو أقام دولة .

وقد اهتزت دوائر الأزهر والعالم الإسلامى لهذه المقولة الخطيرة وتقدم أكثر من باحث من العلماء الأجلاء الرد عليه ودحض فكرته المسمومة فى مقدمتهم : فريد وجدى والشيخ محمد بخيت .

غير أن الأمر لم يلبث أن تكشف حين أعد الدكتور ضياء الدين الريس كتابه (الاسلام والخلافة فى العصر الحديث) عام ١٩٧٢ وكان الخيط الرفيع الذى أوصل إلى الحقيقة هو ماقاله الشيخ محمد بخيت (لأنه علمنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له منه إلا وضع اسمه عليه فقط ، فهو منسوب إليه فقط ليجعله واضعوه من غير المسلمين ضحية هذا العار وألبسوه ثوب الخزى إلى يوم القيامة) .

من هذا الخيط الرفيع استطاع الدكتور الريس أن يتوصل إلى الحقيقة وهى أن كاتب الكتاب هو المستشرق مرجليوث اليهودى الأصل وهو أول من شن الهجوم على الخلافة لأن بلاده كانت فى حرب مع الدولة العثمانية وقد أعلن الخليفة العثمانى الجهاد الدينى ضدها والنصوص من الكتاب قاطعة بأنه كان موجهاً ضد الخلافة العثمانية فإنه يذكر بالاسم (السلطان محمد الخامس) الخليفة فى ذلك الوقت وكان الاتحاديون راغبون فى هدم الخلافة لتمكين اليهود من الوصول إلى فلسطين وقد تبين أن هذه الآراء التى أوردها كتاب على عبد الرازق قد نشرها مرجليوث من قبل عن الدولة الإسلامية ، ولم يزد عبد الرازق عليها شيئاً إلا بعض فقرات من كتب الأدب وفى مقدمتها (الأغانى) .

* * *

ثانياً : طه حسين : فى الأدب الجاهلى :

وكذلك كان الأمر بالنسبة للدكتور طه حسين عميد الأدب العربى فقد سجلت أبحاث كثيرة منها أطروحة ناصر الدين الأسد إلى سجلت مقالة الدكتور مرجليوث اليهودى (انتحال الشعر الجاهلى) وهى المقولة التى ظل الدكتور طه حسين يرددها فى محاضراته عاما كاملا ثم أصدرها فى كتابه (فى الشعر الجاهلى) الذى صودر وأعادها فى كتابه البديل (فى الأدب الجاهلى) وواضح أن المستشرق اليهودى كان يهدف من وراء ذلك التشكيك فى الشعر الجاهلى كله بوصفه ديوان العرب ومصدر تفسير القرآن والاستشهاد بمعانى الآيات وكان الغرض هو هدم هذا المصدر محاربة للقرآن نفسه وهى قضية معروفة حتى قيل عن كتاب طه حسين أنه بمثابة (حاشية طه حسين على متن مرجليوث) وهى محاولة خطيرة لها مصادر فى التراث الإسلامى أهمها مناقشة ابن عباس لنافع بن الأزرق (التى نقلها السيوطى بكاملها فى كتابه (الإتقان فى علوم القرآن) وبه من الإشارة إلى الاستشهاد بالشعر العربى فى تفسير القرآن (١٥٠ آية أورد لها شعراً) .

وما ورد عن عمر بن الخطاب من قوله : عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا : وما ديواننا قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم وقد جاء ذلك على أثر سؤال سائل عن معنى قوله تعالى : (أو يأخذهم على تخوف) .

فقام شيخ من هذيل فقال إن هذه لغتنا وإن معنى التخوف التنقص فسأله عمر عن شاهد من قول العرب فى ذلك فأنشد الهذلى قول القائل :

تخوف الرحل منها تامكا قرداً ... كما تخوف عود النبعة السفن

وقد أشار البعض إلى أنه لايصح الاستشهاد بالشعر فى تفسير القرآن وإنما يستند إلى الشعر فى فهم اللفظ وحده .

وقال ابن خلدون فى مقدمته إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه من مفرداته وتراكيبه .

هذه هى بضاعة طه حسين التى اشتراها من سوق الاستشراق اليهودى ويرتبط به قوله أنه لم يفهم تفسير القرآن إلا بعد حضور دروس كازانوفا فى السربون وتدهش لهذا القول إذ كيف لايستطيع ابن الازهر أن يفهم القرآن إلا من أعجمى غربى علمانى يرى أن القرآن كتاب بشرى .

ولقد كان من أخطر ماحمله المستشرقون لطه حسين دعوراه العريضة بأنه قد أخذ منهج ديكارت وأن هذا المنهج يدعو إلى أن يترك الإنسان حين يبحث دينه وقوميته ، وهو قول باطل من عدة نواح (أولا لأن ديكارت لم يقله وقد نشر السيد محب الدين الخطيب صاحب الفتح كتاب (مقال عن المنهج لديكارت بعد أن ترجمه أحد الشباب المثقف (الدكتور الخضيرى) ليثبت أن ماقاله طه حسين مكذوب (ثانياً) إن فكرة الشك طريقاً إلى اليقين التى أوردها ديكارت هى فكرة إسلامية ثبت بالدليل القاطع أن ديكارت أخذها من كتاب الإمام الغزالى (المنقذ من الضلال)

وقد وجدت فى مكتبة ديكارت نسخة منه مترجمة إلى الفرنسية وقد أشار بقلم أحمر فى هامشه أمام هذا النص (ينقل إلى بحثنا) وشهد بذلك المؤرخ التونسى عثمان الكعاك ، والدكتور محمد محمود زقزوق .

وقد قال العلامة فريد وجدى فى الرد على طه حسين : أنه لو قرأ طه حسين تراث المسلمين وما كتبه الإمام الغزالى . وما كان ينبهر هكذا بفكرة منقولة من الإسلام نقلها ديكارت .

ثالثاً : منصور فهمى (حالة المرأة فى التقاليد الإسلامية) :

وفى تجربة الدكتور منصور فهمى كان هذا الاحتواء الذى وقع له من المستشرق اليهودى المتعصب (ليفى بريل) الذى وقع تحت تأثيره فهداه إلى أن يكتب عن تعدد زوجات النبى ﷺ بدعوى أن النبى ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى والمؤيد بالوحى) خالف الشريعة التى جاء بها حتى قال فى رسالته (أن محمداً يشرع للبشرية ويستثنى نفسه) .

وكان فى ذلك أول من كشف خداع المستشرقين واحتوائهم لأبنائنا الذين ابتعثناهم إلى الغرب وقد كان لهذه الرسالة أثرها الخطير فى دوائر الفكر والثقافة الإسلامية حتى أن منصور فهمى الذى عاد من أوروبا سنة ١٩١٥ ظل مبعداً عن الجامعة حتى عام ١٩٣٠ ، ولكن الرجل رحمه الله كان صادقاً مع نفسه فقد أصلح خطأه وحرر نفسه من الاحتواء العلمانى والصهيونى الذى أحاط به واعترف بأنه أخطأ وأنه

عاد إلى حظيرة الإسلام وقد أزعج هذا أمثال طه حسين الذى دفعه (دوركايم) اليهودى إلى أن تكون رسالته : عن ابن خلدون فقدمه فى قالب من السخرية والتقريع بل وهاجم المغاربة بحجة أنهم لم يتقبلوا الحضارة الغربية التى فرضتها عليهم فرنسا .

رابعاً : زكى مبارك : كتاب النثر الفنى :

أما الدكتور زكى مبارك فقد أخطأ مرتين : المرة الاولى حين قال: (إن العرب قبل البعثة المحمدية كانت أمة وصلت بعد تطورات عديدة إلى الصلاحية لذلك فلما جاء النبى ﷺ نهض بهم فنهضوا ووجههم إلى الفتح والسيطرة فوصلوا بعد قليل إلى ما كان يريد) .

وهذه المقولة خبيثة فظاهرها يعطى العرب الشرف ولكنه فى الحقيقة يفرغ الإسلام من معجزته الكبرى وهى من المطروحات التى قدمها الاستشراق لزكى مبارك وقد كشف زيف هذه المقولة العلامة فريد وجدى الذى قال : إن قريشا وهى أرقى القبائل لغة وفهما ومكانة لم تقبل دعوة النبى رجالا ونساء لا يربو عددهم على بضع عشرات وأن أتباع النبى الاولين أضطهدوا اضطهاداً شديداً حتى هاجروا إلى بلاد الحبشة وأن النبى لبث على هذه الحالة من الاضطهاد ثلاثة عشر سنة .

فلما أنست قريش من النبى الهجرة اعتزمت قتلة وأرصدت له ، ولما علم أهل مكة بأفلاته اقتفوا أثره كل هذا ينطق بلسان فصيح إن

قريشا وهى مظنة النجابة والفهم من العرب فى ذلك العهد لم تكن قد استعدت للملك فإن المجتمع الذى يقاتل الداعى للتجديد والنهوض بهذا النفور ويصر عليه ثلاث عشرة سنة لا يزداد بعدها إلا عناداً وتشدداً، هذا المجتمع الذى يقاتل الداعى بهذا النفور العظيم لا يعتبر أنه استعد لإقامة دولة فلو ترك وشأنه لبقى على ما كان عليه) (النص بالكامل فى دراستنا عن فريد وجدى داعية التوفيق بين العلم والدين) .

الأمر الثانى : موقفه من القرآن الكريم فيما يوحى بأنه ليس من عند الله وتلك هى مقولة الاستشراق التى رددها بكر وذكاء فى ثنايا كتابه النثر الفنى ورد عليها الدكتور محمد أحمد الغمراوى فى مجموعة مقالات فى مجلة الرسالة مجلد ٤٤ ا والتى عرضنا لها من قبل ودخلت مجموعة (مؤلفات فى الميزان) .

* * *

ترك بعض ما أقرضه المستشرقون لكتابنا العرب والهدف العام هو تحويل وجهة الفكر الإسلامى (القائم على التوحيد الخالص) إلى فكر وثنى باطنى يجرى مجرى التعدد والتثليث والاباحية فى محاولة لوقف انتشار الإســلام والقضاء على معطياته القادرة على حماية المسلمين من السقوط فى مهاوى التبعية والاحتواء .

(رقم الإيداع / ٨٣٦٥ / ١٩٩٠)